الإشتراك الصرفي في صيغتي (فَعُوْل) و (فَعِيْل)

ملخـــص البحـــث

يدرس هذا البحث ظاهرة من ظواهر اللغة العربية تكرر ورودها في القرآن الكريم والشعر إذ تصلح بعض الصيغ الصرفية في استعمالاتها ودلالاتها على أكثر من وجه، فيكون ظاهر الصيغة أنه يدل على المفرد و قد يدل على غير المفرد ، اي المثنى و الجمع(عما سنرى في ثنايا البحث).

المقدمة

يدرس هذا البحث ظاهرة من ظواهر اللغة العربية تكرر ورودها في القرآن الكريم والشعر إذ تصلح بعض الصيغ الصرفية في استعمالاتها ودلالاتها على أكثر من وجه، فيكون ظاهر الصيغة أنه يدل على المفرد و قد يدل على غير المفرد ، اي المثنى و الجمع، و المفرد نفسه يدل على المذكر لأنه يأتي بلا علامة تأنيث ، وقد يدل كذلك على المؤنث بالصيغة نفسها بلا علامة تأنيث ، ومن تلك الصيغ صيغتا (فَعُوْلٍ) و (فَعِيْلٍ) اللتان حصرت موضوع البحث فيهما لأنهما وردتا في عدد من آيات القرآن الكريم و بعض أبيات الشعر العربي ، و وضعت له عنوان (الاشتراك الصرفي في صيغتي فَعُوْل ، و فَعِيْل)، و كان على مبحثين : الأول : الإشتراك الصرفي في صيغة (فَعُوْل) و ضم دراسة عدد من الألفاظ التي جاءت على هذه الصيغة في القرآن و اللغة ، منها كلمة رسول ، و عدو ، و المبحث الثاني : الاشتراك الصرفي في صيغة (فَعِيْل) و درست فيها كلمات : ظهير ، قريب، بعيد ، قليل ، جديد ، خبير ، غريب ، رميم ، مع دراسة أقوال علماء اللغة و المفسرين و كتب علوم القرآن و تعليلهم لهذه الظاهرة و كل المعاني من خلال مصنفاتهم التي تسنى لي تصفحها و الدلالات التي تصلح للتعبير عنها ، و بعد ذلك خاتمة البحث و النتائج ، ثم قائمة بالمراجع و المصادر التي استفدت منها في انجاز البحث . ومن السمات التي تتسم بها اللغة أن يكون لكل لفظ دلالة ، ولكل لفظ قياس صرفي يوزن اللفظ على وفق ذلك القياس أو البناء ليدل على معنى في ذاته ، فالمفرد له وزن يدل عليه وكذلك المثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث لكل وزن يدل عليه ، ولكن في اللغة العربية تشترك بعض الاوزان الصرفية بالتعبير عن أكثر من دلالة ، فهناك صيغ تدل على المذكر والمؤنث ، وأخرى تدل على المفرد والجمع ، وكذلك توجد أوزان تستعمل للمفرد والمثنى والجمع ، وتبقى على هيئتها لفظاً و رسماً بلا تغيير ولا يؤثر المعنى المقصود في ذلك ، ولكن ليس دائماً، بل هناك مواضع يجري فيها التعبير على هذا النحو على وفق المعنى المقصود وما يصلح فيه سياق الكلام.

وقد ذكر اهل اللغة هذا الموضوع وبينوا المواضع التي يكون فيها اشتراك في البناء الصرفي وعلى هذا النحو:

الاشتراك بين المذكر و المؤنث

ذكر العلماء خمسة أوزان يستوي فيها المذكر والمؤنث :

الأول: (فعول): كرجل صبور وامرأة صبور.

الثاني: (فعيل): كرجل جريح وامرأة جريح .

الثالث:(مفعال): كرجل منحار وامرأة منحار أي كثير النحر .

الرابع: (مفعيل): بكسر الميم مثل مسكين، فنقول رجل مسكين، وامرأة مسكين.

الخامس: (مِفعَل): بكسر الميم وفتح العين. كمغشم وهو الذي لا ينتهي عما يريده ويهواه من شجاعته ومدعس من الدعس وهو الطعن.

و ذكروا بعض الكلمات التي فيها اشتراك بين المذكر و المؤنث ، ومنها ((ألفاظ يشترك فيها المذكر والمؤنث، ولا يجوز تأنيثها لأنها مصادر وصف بها نحو: خصم، وضيف، ودنف.))[١]

ولكن لسعة الموضوع وتضمنه صيغاً متعددة وعدم إمكانية التوسع في البحث سوف أقتصر فيه على دراسة صيغتي (فعول) و (فعيل) وهما على يبدو أكثر شيوعاً و أخذت جانباً من اهتمام العلماء.

المبحث الأول : الاشتراك في صيغة (فعول)

هذا البناء أصله (فاعل) فإن أريد به العدول به الى(فعول) فهو يستعمل في معنى المبالغة و التكثير[٢]، ويشترك فيه الواحد والاثنان والجميع ، فيساق للدلالة على المفرد كما يستعمل ليدل على المثنى بلا تغيير في حروفه و حركاته ، وقد يكون في بعض المواضع يدل على الجمع ، ويرد كذلك للدلالة على المؤنث بلا علامة تأنيث شرط أن يكون بمعنى فاعل[٣]، قال ابن السكيت :((فعول إذا كان في تأويل فاعل كان مؤنثه بغير هاء نحو: رجلٌ صَبُورٌ ، و امرأةٌ صَبورٌ، و رجلٌ غَدورٌ و امرأةٌ غَدورٌ... و رجل شكور و امرأة شكور))[٤]، ويكون ذلك اذا قصد فيه المبالغة[٥]، ويذكر ابن سيده ان اللفظ الواحد قد يدل على المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ولكن هذا من خواص المصادر او مما يغلب عليه اذ قال: ((وهذا مما كاد يخص المصدر وان لم يكن خص فقد غلب وطائفة تذهب الى ان المضاف محذوف وطائفة تقول ان المصدر لما كان واحدا يدل على القليل والكثير من جنسه جعلوه مفردا))[٦]. وجاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم وفي اللغة للدلالة على المفرد والمثنى، وعلى النحو التالي:

الاشتراك في كلمة (رسول)

فكلمة (رسول) ، كانت للدلالة على المفرد وحده في مواضع وللدلالة على المثنى في بعضها فدلت على المفرد في قوله تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩] الا أن اللفظ نفسه جاء للدلالة على المثنى في قوله تعالى :﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦]، وهنا كلمة (رسول) على زنة (فعول) وهي تدل على موسى وهرون عليهما السلام معا ، غير أن القياس أن تكون صيغتها بالمثنى إذ المتكلمان اثنان ، لذلك وردت على هذه الهيئة في قوله تعالى :﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه: ٤٧]، ويعلل الاخفش بانها جاءت بلفظ المفرد مع انها تدل على اثنين (لأنَ "فَعُول" و"فَعِيل" مما يجعل واحدا للاثنين والجمع.)[٧].

وهي لا تقتصر بالدلالة على الواحد والاثنين ، بل تكون لأكثر من اثنين ، فتدل على الجمع، لذلك قيل :(وَهِيَ كَلِمَةٌ مِنْ كَلامِ الْعَرَبِ، يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: مَنْ كَانَ رَسُولُكَ إِلَى فُلانٍ؟ فَيَقُولُ: فُلانٌ وَفُلانٌ وَفُلان)[٨] .

ويقر بعض العلماء بأن تأتي (فعول) بصيغة المفرد وتدل على التثنية والجمع كأبي بكر الأنباري ، ومنهم من ينفي دلالتها على التثنية ويحصرها بالمفرد والجمع كالكفوي، جاء في (الزاهر) : ((والرسول يقال في تثنيته: رسولان، وفي جمعه: رسُل. ومن العرب مَنْ يُوحِّده في موضع التثنية والجمع، فيقول: الرجلان رسولك والرجال رسولك، قال الله – عز وجل – في موضع: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه: ٤٧] ، وقال في موضع آخر: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء:١٦]، فالموضع الذي قال فيه: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ، خرج الكلام فيه على الظاهر، لأنه إخبار عن موسى وهارون. والموضع الذي قال فيه: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ ، قال يونس وأبو عبيدة : وحد الرسول ، لأنه في معنى الرسالة، كأنه قال: إنّا رسالةُ ربِّ العالمين.))[٩]

وهذا يخالف ما ذهب اليه الكفوي فقد اجازه في الجمع ولم يجزه في التثنية اذ قال : ((وَلا يكون للاثنين كَمَا فِي (فعول) حَيْثُ لَا يُقَال: (رجلانِ صبور) وَإِن صَحَّ فِي الْجمع))[١٠] والصحيح أنه يجوز أن يكون للاثنين لوجوده في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[الشعراء: ١٦]

حجج العلماء:

لم يكن كلامهم مجرد رأي عابر أو آراء يتفاضلون بها ويجادل بعضهم بعضاً، بل كان لكل منهم أدلته التي يسند بها قوله ، فمنها ما كان استدلالاً لفظياً ومنها ما كان معنوياً.

١- التحويل

يحول اللفظ من معنى الصفة إلى معنى المصدر اي أن يكون الرسول بمعنى الرسالة (والمصدر يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع، فاعطي حكم ماهو على زنته)[١١]، ولذلك يعلل بعض العلماء مجيء الرسول بصيغة المفرد مع كون المخاطبين اثنين أنه يراد به الرسالة ((واحتج يونس بقول الشاعر:

فأَبلِغْ أبا بكر رسولاً سريعةً ... فمالكَ يا ابنَ الحَضْرَميِّ ومالِيا) [١٢]

أراد: رسالة سريعة. واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

(لقد كذَّب الواشونَ ما بُحْتُ عندهم ... بسرٍّ ولا أرسلتهم برسولِ) [١٣]

أراد: ولا أرسلتهم برسالة، واحتج يونس بقول الآخر :

(ألا مَنْ مُبلغٌ عني خُفافاً ... رسولاً بيتُ أهلِكَ مُنتهاها) [١٤]

أراد: رسالةً بيتُ أهلكَ مُنتهاها.)) [١٥]

وقيل إنه مصدر وصف به و لذلك جاء مفرداً مذكراً ((فإن قيل : ما وجه الإفراد في قوله:﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ في (الشعراء) ، مع أنهما رسولان ، كما جاء الرسول مثنى في (طه) فما وجه التثنية في طه و الإفراد في الشعراء و كل واحد من اللفظين المثنى والمفرد يراد به موسى و هرون ؟))[١٦] يجيب عن هذا السؤال صاحب أضواء البيان إذ يعلل هذه المسألة ((أن لفظ الرسول مصدر وصف به ، والمصدر إذا وصف به ذُكِّرَ وأُفرِدَ،..... فالإفراد في (الشعراء) نظراً إلى أن أصل الرسول مصدر، والتثنية في (طه) اعتداداً بالوصفية العارضة وإعراضاً عن الأصل ، و لهذا يجمع الرسول اعتداداً بوصفيته العارضة ويفرد مراداً به الجمع نظراً إلى أن أصله مصدر، ومثال جمعه قوله تعالى :﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٣ – الآية–] و أمثالها في القرآن ، و مثال إفراده مراداً به الجمع قول أبي ذؤيب الهذلي:

أَلِكْني إليها وخيرُ الرسولِ ... أعلمهم بنواحي الخَبَرْ[١٧]

ومن إطلاق الرسول مراداً به المصدر على الأصل قوله:

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بقول و لا أرسلتهم برسول[١٨]

أي : برسالة . وقول الآخر:

ألا أبلغ بني عصم رسولاً بأني عن فتاحتكم غنيُ[١٩]

يعني : أبلغهم رسالة))[٢٠].

٢- الاشتراك

قال البيضاوي في سبب افراد كلمة (رسول) في سورة الشعراء مع ان المخاطبين هما موسى وهارون (عليهما السلام): ((افرد الرسول لأنه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة))[٢١].

٣- الإكتفاء

يستخدم هذا المصطلح على وجهين ، الأول عند أهل البلاغة و الثاني عند أهل اللغة ، فأما أهل البلاغة فيعرفونه بأنه ((هو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر إلى أن يقول ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيفما اتفق بل لأن في نكتة تقتضي الإقتصار عليه))[٢٢] وأما أهل اللغة فيعدونه من الحذف و الإستغناء ، فحده عندهم ((هو أن يحذف بعض الكلام و يستغنى بدلالة الموجود عليه)) [٢٣].

وقد أشار الباحث الدكتور علي عبد الفتاح محيي الشمري إلى مفهوم الإكتفاء و دلالته عند النحاة إذ قال:((وأما الاكتفاءُ فقد تناوله النحويون وهم يُريدون به الاقتصار على ما يُذكر من كلامٍ دونما حاجةٍ إلى سواه ، أو بعبارةٍ أخرى: إنَّ الاكتفاء ينفي التقدير، فـ((كلُّ مقتَصَرٍ عليه كافٍ))[١]. ..... وقد أشار الدكتور أحمد عبد الستار الجواري إلى أثر (الاكتفاء) في اتساع الدلالة وعدم تضييقها بالتزام القول بـ(الحذف والتقدير)، بقولِه: ((وكثيرًا ما يجري التعبيرُ القرآنيُّ على صورٍ من الإيجازِ والاكتفاءِ لا تُحيطُ بها قواعدُ النحو، مثلُ الاكتفاء من الجملةِ الفعلية أو الاسمية بجارٍّ ومجرورٍ، كقولِه تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٧]...))[١]. وبين الدكتور الجواري عدة اضرب له[٢٤]، منها: ((الاكتفاءُ بالخبر ، حيثُ لا حاجةَ لذكر المبتدأ ، في نحو قولِه تعالى﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨١]))[٢]

ومن الاكتفاء الذي ذكره الفراء في هذا الباب ما يُكتفى به بذكر الواحد من الاثنين[٢٥]، جاء ذلك من خلال تفسيره كلمة (قعيد) وبيان سبب ذكرها مفردة اذ قال: ((ومثله قوله في ق﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ ﴾ اكتفى بالقعيد من صاحبه لان المعنى معروف)) [٢] ، وأما كلمة (رسول) فإنها تقال للإثنين والجمع كما تقال للواحد .

جاء في (معاني القرآن): ((وقوله﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ ﴾ [ق: ١٧]، يقال : قعيد، ولم يقل: قعيدان، حَدَّثَنَا الْفَرَّاءُ قَالَ: وَحَدَّثَنِي حِبَّانُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَعِيدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ يُرِيدُ- قَعُودٌ، فَجَعَلَ الْقَعِيدَ جَمْعًا، كَمَا تَجْعَلَ الرَّسُولَ لِلْقَوْمِ وَالاثْنَيْنِ. قال الله تعالى: ﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾[الشعراء: ١٦] (لموسى وأخيه)، وقال الشَّاعِر:

أَلِكْني إليها، وخيرُ الرسو ... ل أعلَمُهم بنواحيِ الْخَبَرْ[٢]

فجعل الرَّسُول للجمع، فهذا وجه، وإن شئت جعلت القعيد واحدًا اكتفى بِهِ من صاحبه، كما قَالَ الشَّاعِر:

نَحْنُ بما عندنا، وأنت بما ... عندك راض، والرأي مختلف[٢٦]

ومثله قول الفرزدق:

إنّي ضمنت لمن أتاني ما جَنَى ... وأبي، وكان وكنت غير غدور[٢٧]

ولم يقل: غَدُورَيْنِ))[٢٨] ، ومن اللغويين من يذهب الى ان (رسول) هنا بمعنى الرسالة او ذي الرسالة ((وقيل سمى رسول لأنه ذو رسالة وهو فعول في معنى مفعل من أوزان المبالغة كضروب لمن كثر من الضرب. والرسول في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة قال الزجاج في قوله تعالى ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾ [الشعراء: ١٦] معناه إنا رسالة رب العالمين أي ذو رسالة رب العالمين. وقال كثيّر[٢٩] :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بسرّ ولا أرسلتهم برسول

.. أي برسالة.))[٣٠]

وقال الفراء: إنما وحّد فقال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦] لأنه اكتفى بالرسول من الرسولين. واحتج بقول الشاعر :

أَلكْني إليها وخيُر الرسولِ ... أعلمهم بنواحي الخَبَرْ

أراد: وخير الرُسل، فاكتفى بالواحد من الجمع.))[٣١]

وقد يذكر الرسول بلفظ المفرد ويراد به التثنية ، أو الجمع ((والرسول يقال في تثنيته: رسولان، وفي جمعه: رسُل. ومن العرب مَنْ يُوحِّده في موضع التثنية والجمع، فيقول: الرجلان رسولك والرجال رسولك. قال الله – عز وجل – في موضع: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴿٤٧﴾﴾ [طه: ٤٧] ، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾. فالموضع الذي قال فيه: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴿٤٧﴾﴾ [طه: ٤٧] ، خرج الكلام فيه على الظاهر، لأنه إخبار عن موسى وهارون. والموضع الذي قال فيه: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ ، قال يونس وأبو عبيدة : وحد الرسول ، لأنه في معنى الرسالة، كأنه قال: إنّا رسالةُ ربِّ العالمين. واحتج يونس بقول الشاعر:

(فأَبلغْ أبا بكر رسولاً سريعةً ... فمالكَ يا ابنَ الحَضْرَميِّ ومالِيا) [٣٢]

أراد: رسالة سريعة. واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

(لقد كذَب الواشونَ ما بُحْتُ عندهم ... بسرٍّ ولا أرسلتهم برسولِ) [٣٣]

أراد: ولا أرسلتهم برسالة، واحتج يونس بقول الآخر :

(ألا مَنْ مُبلغٌ عني خُفافاً ... رسولاً بيتُ أهلِكَ مُنتهاها) [٣٤]

أراد: رسالةً بيتُ أهلكَ مُنتهاها.)) [٣٥].

ومن هنا يتبين أن (رسول) من الألفاظ المشتركة في الصرف ، لأنه ((لفظ يَقع على الْمُذكر والمؤنث وَالْوَاحد والجميع ..)) [٣٦] و أما الكفوي فقد عده من إطلاق اسم الخاص على العام[٣٧]، و قيل أنه لم يرد بلفظ مثنى لأن

المعنى أن كل واحد منهما رسول [٣٨]، وقال السمرقندي: ((يعني موسى وحده ، ويضاف الشيء الى اثنين ويراد به الواحد.)) [٢].

٤- الدلالة

ان يذكر احد الامرين ويحذف الآخر لدلالة الاول عليه، ذكر ذلك الرازي في تعليل مجيء لفظ (قعيد) مفردا مع ان المقصودين اثنان[٣٩].

٥- الاستغناء

اختلف العرب في سبب توحيد (قعيد)، وينسب الى بعض نحويي البصرة انهم يعللون ذلك بانه استغناء بالواحد عن الجمع ((ولم يقل (عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد)، أي احدهما ثم استغنى... وقال بعض نحويي الكوفة(قعيد) يريد قعودا عن اليمين وعن الشمال فجعل (فعيل) جمعا كما يجعل (الرسول) للقوم وللاثنين)) [٤٠].

٦- رعاية الفاصلة

ورد في بعض كتب التفسير ان سبب ذكر كلمة (قعيد) بصيغة المفرد ولم تكن بصيغة المثنى (قعيدان) من اجل رعاية فواصل السورة[٤١].

الاشتراك في كلمة (عدو).

ومن الألفاظ الواردة في القرآن على صيغة (فعول) التي اشترك فيها المفرد والجمع كلمة (عدو) ومعناها الخصم و ذو العداوة ، وهي في الأصل مفردة جمعها أعداء و أعادٍ ،و عِدَى ، ((وقالوا: عدوٌ وعدوةٌ، شبهوه بصديقٍ وصديقةٍ، كما وافقه حيث قالوا للجميع: عدوٌ وصديقٌ، فأجري مجرى ضده.))[٤٢].

و جاءت دالة على المفرد في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١١٤] وكذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦]

لكن كلمة (عدو) لا تقتصر دلالتها على الواحد إذ جاءت للدلالة على الاثنين في قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٣٦] ذكرها بهذا المعنى

بعض أهل التفسير ((قال:﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ فإبليس لهما عدو وهما لإبليس عدو ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ يعنى بلاغا إلى منتهى آجالكم: الموت.))[٤٣] وقيل ان المقصود بها ((آدم، وحواء، وَإِبْلِيسُ، وَالْحَيَّةُ)) [٤٤] وعلى هذا التفسير تكون كلمة (عدو) هنا دالة على الجمع.

وجاءت للدلالة على الجمع في وصف ابراهيم (عليه السلام) للأصنام التي اتخذها قومه آلهة يعبدونها من دون الله تعالى ، يتضح ذلك في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٧] فأشار إلى مجموع الأصنام بأنهم عدو ولم يصفهم بأنهم أعداء فجاءت صيغة فعول للدلالة على الجمع ((أي: أن إبراهيم عليه السلام جمع الآلهة المتعددة التي يعبدونها وجعلها عدواً واحداً له. وكذلك يمكن أن نفعل مع كلمة "صديق"، وكذلك كلمة "عدل"))[٤٥].

وكذلك وردت هذه الكلمة دالة على الجمع في عدة آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى:﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء:٩٢] وصف كلمة (قوم) الدالة على الجمع بكلمة تدل على المفرد وهي (عدو)،وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٠] جاءت كلمة (عدو) مفردة لكنها سيقت للدلالة على الجمع إذ وصف بها إبليس و ذريته ، ومنه قوله تعالى :﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] ففي هذه الآية كلمة (عدو) تدل على الجمع ، قال القرطبي : (اي اعداء يعادي بعضهم بعضاً و يلعن بعضهم بعضاً.) [٤٦]

وذكر بعض أهل اللغة أنها يجوز استعمالها في المذكر والمؤنث بجميع أحوالهما في المفرد و المثنى و الجمع مع بقاء الصيغة (فعول) على حالها ، جاء في النحو الوافي : ((ومما يجوز فيه الأمران أيضاً: أن يكون الوصف أحد الألفاظ التي يصح استعمالها بصورة واحدة في الإفراد والتأنيث وفروعهما من غير أن تتغير صيغتها؛ مثل كلمة: "عدو"، فيصح: اللص عدو- اللصان عدو- اللصوص عدو- اللصة عدو- اللصتان عدو- اللصات عدو ... فمثل هذه الكلمة التي يصح فيها أن تلزم صورة واحدة في جميع الأساليب يجوز فيها إذا وقعت مبتدأ وبعدها اسم مرفوع: "مثل: أعدو اللص - أعدو اللصان - أعدو اللصوص ..))[٤٧]

نستدل مما تقدم أن كلمة (عدو) وهي على زنة (فعول) تدل مرة على الواحد ومرة على الاثنين ومرة على الجميع ، ويكون ذلك بحسب سياق الكلام، وكان القياس ان يوصف المفرد بوزن (فعول) والجمع بوزن (افعال) فيكون (عدو) للمفرد و(أعداء) للجمع، ونجد ذلك في عدد من الآيات ، منها قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟

وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، و قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [فصلت: ١٩] ، وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فصلت: ٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الممتحنة: ٢].

المبحث الثاني : الاشتراك في صيغة (فَعيل):

صيغة (فَعيل) تساق للدلالة على المبالغة ، وقد تكون للصفة المشبهة باسم الفاعل إذا دلت على الثبوت والدوام[٤٨] ، وربما قُصِدَ بها الحدوث لا الثبات عندما تكون محولة من صيغة (فاعل)[٤٩]. فإن كانت للمبالغة استوى فيها التذكير والتأنيث إذا كانت بمعنى الفاعل، ولا تدخلها تاء التأنيث والصفة المشبهة لا يستوي فيها المذكر و المؤنث[٥٠] ، وتطلق صيغة (فعيل) على المفرد غالباً، لكنها قد تشترك بالدلالة على المفرد والمثنى وتشترك بالدلالة على المفرد والجمع ، وقد ورد ذلك في القرآن ، كما في كلمة (ظهير) إذ جاءت للمفرد وللجمع ، وكلمة (قريب) التي جاءت مرة للمذكر وأخرى للمؤنث ، وكلمة (قعيد) للمثنى ، ووردت كلمة (صديق) للمفرد و المثنى والجمع بنوعيه المذكر و المؤنث ، وجاءت في اللغة على هذا النحو في عدة مواضع ((من أشعار العرب قول العبدي:

أحَقًّا أنَّ جيرتَنا استقَلّوا ..... فنيَّتنا ونيَّتهم فَرِيقُ[٥١]

قال: فريق، كما تقول للجماعة: هم صديق. وقال اللّه تعالى جدَّه: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [ق: ١٧].))[٥٢] فقد جاءت (فريق) و (قعيد) بلفظ المفرد مع دلالتهما على المثنى و قياسها في المثنى (فريقان) و(قعيدان)[٥٣] ، وكذلك وردت كلمة (صديق) في كلام العرب للدلالة على الجمع المذكر((ومثله قول قعنب ابن أم صاحب (من البسيطِ)

مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيقٍ ثُمَّ لَيْسَ لَهُمْ دِيْنٌ وَلَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ إذَا اتُّمِنُوا))[٥٤]

وكان حقها في الجمع أن تذكر بلفظ (أصدقاء) على وزن (أفعلاء)[٥٥] ، وكما تدل على الجمع المذكر فهي تدل على الجمع المؤنث ، ((وقول جرير: (من الطويل)

دَعَوْنَ الْهَوَى ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَعْيُنِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيق[٥٦]))[٥٧]

يبين أن (صديق) وهي على زنة (فعيل) أخبر بها عن (هنّ) ضميرالمؤنث الدال على الجمع ، وكذلك جاءت للدلالة على المفرد المؤنث في قول كثير:

ليالِيَ من عَيشٍ لهونا بوجهه زماناً ، و سُعدى لي صَديقٌ مواصِلُ [٥٨]

وجاءت على هذا النحو في مناسبات عدة ندرجها في هذه المواضع:

١- الإشتراك في كلمة (ظهير)

جاءت هذه الكلمة في عدة آيات من القرآن الكريم ، وهي على زنة (فَعِيْل) منها ما يدل على المفرد كما في قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ: ٢٢] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القصص: ١٧] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [القصص: ٨٦] وجاءت للدلالة على الجمع في قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [التحريم: ٤] ، وقد ذكر بعض العلماء كثرة مجيئها على هذا المعنى في القرآن اذ قال ابن الجوزي : (في كثير من القرآن يؤدي معنى الواحد عن الجميع.)[٥٩] و(قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: قَدْ جَاءَ فَعِيلٌ لِلْكَثْرَةِ كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ ﴾ [المعارج: ١٠ – ١١])[٦٠]

في حين أشار غيرهم إلى قلته ، قال البيضاوي : (وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدد)[٦١] و قد تأتي كلمة (ظهير) على صيغة (فعيل) للدلالة على المفرد المؤنث غير مرتبطة بالتاء الدالة على التأنيث وبذلك تشترك مع المفرد المذكر بصيغة واحدة، وقد ذكر في باب ما يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث ((وبعير ظهير أي: قوي، وناقة ظهير بغير هاء أيضا.))[٦٢]

وهناك علل عدة ذكرها العلماء تبين سبب وروده على صيغة المفرد مع دلالته على الجمع :

١- الاشتراك : لا تقتصر دلالة صيغة (فَعيل) على المفرد المذكر ، بل تدل كذلك أحياناً على المثنى و الجمع والمؤنث .

قال الأخفش :((فجعل "الظَهيرَ" واحدا. والعرب تقول: "هُمْ لِي صَدِيقٌ". وقال: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} وهما قعيدان. وقال:{إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وقال:{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي} لأنَ "فَعُول" و"فَعِيل" مما يجعل واحدا للاثنين والجمع.))[٦٣] .

٢- الإخبار باسم الجنس:

ويتم ذلك في الكلام الذي يخبر فيه عن الجمع باسم الجنس (أخبر عن الجمع باسم الجنس)[٦٤].

((ظهير} أي: ظهراء أعوان له في نصره عليكما.

تنبيه: أخبر عن الجمع باسم الجنس إشارة إلى أنهم على كلمة واحدة))[٦٥]

التعبير بالواحد عن الجميع:

قَالَ الْوَاحِدِيُّ: ((وَهَذَا مِنَ الْوَاحِدِ الَّذِي يُؤَدَّى عن الجمع كقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩] وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ أَنَّ مِثْلَ جَرِيحٍ وَصَبُورٍ وَظَهِيرٍ يُوصَفُ بِهِ الْوَاحِدُ وَالْمُثَنَّى وَالْجُمَعُ))[٦٦] واشترط بعضهم أن يكون (فعيل) بمعنى (مفعول) لا بمعنى (فاعل) ، فقد جاء في تفسير القاسمي : ((وقيل: يطلق (فعيل) للواحد والمتعدد، كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤] ، وضعف بأنه ليس على إطلاقه، بل إذا كان (فعيل) بمعنى (مفعول) بشروطه، وهذا بمعنى (فاعل) ، فلا يصح فيه ذلك إلا بطريق الحمل على (فعيل) بمعنى (مفعول) .))[٦٧]

وذكر الطاهر بن عاشور التعليل نفسه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان: ٥٥] إذ قال:((وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: ظَهِيرٌ بِمَعْنَى مَظْهُورٍ، أَيْ كُفْرُ الْكَافِرِ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، يَعْنِي أَيْ فَعِيلاً فِيهِ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ مَظْهُورٌ عَلَيْهِ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ عَلى مُتَعَلَّقًا بِفِعْلٍ كانَ أَيْ كَانَ عَلَى اللهِ هيّنا))[٦٨]، وقال آخرون: إنما جاء مذكراً لأنه قصد به جنس الكافرين فهو مفرد يدل على الجمع ، جاء في المحكم:((والظَّهِيرُ: العون، الْواحِد والجميع فِي ذَلِك سَوَاء،

وَفِي التَّنْزِيل: ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٥] يَعْنِي بالكافر الْجِنْس، وَلذَلِك افرد وَفِيه: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [التحريم: ٤] ، وَهَذَا كَمَا حَكَاهُ سِيبَوَيْهِ من قَوْلهم للْجَمَاعَة: هم صديق، وهم فريق.))[٦٩] .

الإشتراك في لفظة (قريب)

هذه الكلمة على وزن (فَعِيْل) وتأتي غالبا للمفرد المذكر ، وتأتي لغيره ، و تدل على المسافة ، وهي من ((قَرُبَ الشيْءُ – بالضم – يَقْرُبُ قُرْباً وقُرْباناً... أي: دنا فهو قريب ، الواحد و الإثنان والجميع في ذلك سواء ..))[٧٠]

ومن المعروف أن الرحمة لفظة تدل على المؤنث ، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] و قد وردت موصوفة بالمؤنث في آيات أخر هي:

١- ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٧] .

٢- ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] .

٣- ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ [هود: ٩].

٤- ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٨].

٥- ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ [الروم: ٣٦].

٦- ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] .

٧- ﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ﴾ الشورى: [٤٨].

لكن الرحمة وردت للدلالة على المذكر في مواضع أخرى ، إذ جاءت خبراً للمبتدأ المذكر في قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ [الكهف: ٩٨] ، وجاءت مفعولاً لأجله أو حالاً[٧١] ، تدل على المذكر في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] إذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو الرحمة، وجاءت خبراً لإنَّ بلفظ مذكر لكن

الاسم لفظه مؤنث، قال تعالى :﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦] وليس هنا فحسب ، و إنما وردت على هذا النحو في غير الآية المذكورة ، منها قوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى: ١٧]، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وهذا يدل على اشتراك هذه الكلمة بين المذكر المفرد و المؤنث المفرد ، ومن الجدير بالذكر أن بعض من يدعي العلم بدقائق اللغة و فصاحتها وهو بعيد كل البعد عنها قد تجرأ على القرآن الكريم و زعم أن هذه الآية وما جاء على نسقها فيها خطأ لغوي لكون الوصف مذكراً و الموصوف مؤنثاً، لكن رد عليه الباحث إبراهيم عوض أديب مدافعاً عن كتاب الله تعالى أحسن دفاع وفند زعم ذلك المتطاول تفنيداً اتسم بالعلمية والموضوعية إذ قال :((كذلك يخطَّئ الدعيُّ قوله تعالى في الآية : (٥٦) من سورة "الأعراف": ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦] ، حيث ورد خبر "إنّ" مذكّرا على حين أن اسمها مؤنث، "وكان يجب (حسبما يقول) أن يتبع خبرُ "إنّ" اسمها في التأنيث فيقول: "قريبة". وهو كلام يبعث على القهقهة، إذ يشبه تصدّي طفل في الروضة لسيبويه يبغي تخطئته. إن مثل هذا الأحمق لا يعرف أن الأسلوب العربي الأصيل كثيراً ما يُبْقِي على صيغة التذكير في الصفات التي على وزن "فَعِيل" إذا كانت بمعنى "مفعول" مثل "لحيةٌ دهين" و"كفٌّ خضيب" و"امرأة جريح" و"ناقةٌ طَعين"، أو إذا كانت بمعنى "ذات كذا" على تأويل "إن رحمة الله ذات قُرْب من المحسنين"، أو للتميز بين قرابة النَّسَب وبُعْده" وبين قرابة المسافات وبُعْدها. وثمة اعتبارات أخرى تُطْلَب في مظانها))[٧٢].

وفي الشعر جاءت لفظة (قريب) للدلالة على المؤنث، وقول عبيد بن الأبرص[٧٣]:

فَنفَّضت ريشها وانتفضت ... وهي من نهضةٍ قريبُ

وقول الآخر :

ليالِيَ لا عفراء منك بعيدةً ... فَتَسْلَى ولا عفراء منك قريبُ[٧٤]

خير دليل على ذلك[٧٥].

الإشتراك في كلمة (بعيد).

تشترك هذه الكلمة في الدلالة على المفرد المذكر والمفرد المؤنث والجمع، إذ جاءت دلالتها على المذكر في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقوله: ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سبأ: ٥٢]، أما دلالتها على المؤنث فكانت في قوله تعالى:﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍۭ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود: ٨٣] ، إذ وصف الحجارة بقوله: ﴿ ببعيد ﴾ لم يقل: ببعيدة ، وكذلك جاءت على صيغة المفرد المذكر في وصف الجنة في قوله تعالى:﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [ق: ٣١]، ولم يقل: غير بعيدة.

ودلت على الجمع في قوله تعالى:﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [هود: ٨٩] وهنا وصف القوم بلفظ مفرد هو قوله: ﴿ بعيد ﴾ مع انهم جمع ، فلم يقل: ببعيدين.

لكن في الغالب جاءت للمفرد المذكر، أما في غير المذكر فوردت في مواضع قليلة.((فإن قيل: كيف قال: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [هود: ٨٩] ولم يقل ببعيدين، والقوم اسم لجماعة الرجال، وما جاء في القرآن الضمير العائد إليه إلا ضمير جماعة، قال الله تعالى: ﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [نوح: ١] وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾[الحجرات: ١١]؟

قلنا: فيه إضمار تقديره: وما اهلاك قوم لوط، أو وما مكان قوم لوط، ومكان قوم لوط كان قريبا منهم، واهلاكهم أيضا كان قريبا من زمانهم،))[٧٦].

وجاءت في الشعر كذلك للدلالة على المفرد المؤنث في قول الشاعر:

عشيّةَ لا عفراءُ منك قريبةً ... فتدنو ولا عفراء منك بعيدُ[٧٧]

وعلى الجمع المؤنث في قول جميل بثينة:

وقد تلتقي الأشتات بعد تفرق وقد تدرك الحاجات وهي بعيد[٧٨]

الاشتراك في كلمة (قليل)

تشترك في الدلالة على المفرد وغيره ، من دلالتها على المفرد ((وذلك قوله في سورة البقرة {لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَناً قَلِيلاً} يعني عرضا من الدنيا يسيرا. وقال في آخر آل عمران: ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [آل عمران: ١٨٧] يعني يسيرا.))[٧٩]

ومنه قوله في سورة الأحزاب: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الأحزاب: ١٨]. وقال في سورة النساء للمنافقين: ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢] . وقوله ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٧].

ومنه قول الشاعر:

إنما الميت من يعيش ذليلا ... سيّنا باله قليل الرّجاء[٨٠]

وقول الشاعر:

(وَهَذَا قَلِيل من كثير أكنه ... وَإِن كَانَ نطقي فِيهِ بالشكر مُعْلنا) [٨١]

وقول الشاعر:

ويومٍ شَهِدْناه سُلَيْماً وعَامِراً ... قَليلٍ سِوىَ الطَّعْنِ النَّهالِ نَوافِلُهْ[٨٢]

وجاء للدلالة على الجمع في عدد من آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٦]

وقوله تعالى : ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ [النساء: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [البقرة: ٢٤٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾ [الأعراف: ٨٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ [هود: ٤٠].

ووردت في الشعر للدلالة على الجمع في قول السموأل:

تُعَيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها : ان الكرام قليل[٨٣]

فقد وصف الكرام – وهم جميع – بأنهم قليل ، ولم يقل: قليلون ، وقد يكون ذلك للضرورة الشعرية .

ونظير ذلك من الشعر قوله، وهو ذو الرمة:

أنيخَت فألقتْ بَلْدَةً فوقَ بلدةٍ ... قليلٍ بها الأصواتُ إلا بُغامُها [٨٤]

تُعَيّرنا أنَّا قليلٌ عَدِيدنا ... فقلتُ لها: إنّ الكرام قليلُ[٨٥]

ألم تعلمي يا عمرك الله أنني ... كريم على حين الكرام قليل [٨٦]

الاشتراك في كلمة (جديد):

جاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم للدلالة على المفرد فحسب قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم: ١٩]، ووردت في ست آيات كلها لوصف المفرد ، أما في الشعر فقد جاءت للدلالة على المفرد وعلى الجمع ، ففي قول جميل بثينة :

ألا ليت أيام الصفاء جديد ودهرا تولى يا بثين يعود[٨٧]

دلت على الجمع المؤنث إذ وصف الأيام بقوله : جديد ، ولم يقل: جديدة، وفي قوله:

وأفنيت عمري في انتظار نوالها وأبليت فيها الدهر وهو جديد[٨٨]

دلت على المفرد المذكر وهو الدهر.

الاشتراك في كلمة (غريب) :

جاءت للدلالة على المثنى المذكر في قول الشاعر:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فَإِنّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ[٨٩]

قال : غريب و لم يقل : غريبان

أما النحويون فقد خرجوها((على أن قوله: " قيار " مبتدأ: حذف خبره، والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها، والتقدير: فإني وقيار بها كذلك لغريب.))[٩٠]

وقال التفتازاني في تعليل ذلك:((فالمسند إلى قيار محذوف لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التوجع ومحافظة الوزن. ولا يجوز ان يكون قيار عطفا على محل اسم ان وغريب خبرا عنهما لامتناع العطف على محل اسم ان قبل مضى الخبر لفظا أو تقديرا واما إذا قدرنا له خبرا محذوفا فيجوز ان يكون هو عطفا على محل اسم ان لان الخبر مقدم تقديرا فلا يكون مثل ان زيدا وعمرو ذاهبان بل مثل ان زيدا وعمرو لذاهب وهو جائز ويجوز ان يكون مبتدأ والمحذوف خبره والجملة باسرها عطف على جملة ان مع اسمها وخبرها، وكقوله :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف[٩١]

فقوله: نحن مبتدأ محذوف الخبر لما ذكرنا، أي نحن بما عندنا راضون، فالمحذوف ههنا هو خير الاول بقرينة الثاني وفى البيت السابق بالعكس (وقولك: زيد منطلق وعمرو) أي وعمرو منطلق فحذف للاحتراز عن العبث من غير ضيق المقام)) [٩٢]

وهناك تعليل آخر يفيد أن الشاعر حذف لأجل الإيجاز((وأصل الكلام أن يقول: فإني لغريب بها وقيار غريب ، ولكنه حذف المسند في الجملة الثانية لأن ذكره بعد دلالة القرينة عبث يذهب بطلاوة الشعر، و لأن نفسه الضائقة بهذه الغربة تنزع الى اللمح والإيجاز، وقيار اسم جمل الشاعر)) [٩٣].

الاشتراك في كلمة (رميم) :

هذه الكلمة على صيغة فعيل ، وتقال للمفرد و للجمع ، وجاءت للمفرد في قوله تعالى:﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات:٤٢] ، فالرميم صفة لـ (شيء) ، وهو مفرد ، جمعه : أشياء ، ويقصد به نباتُ الأرضِ إذا يَبِسَ ودَبسَ فهو رَمِيمٌ. [٩٤]

ودلت على الجمع في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يس: ٧٨] رميم هنا صفة للعظام ، وهي جمع مفردها عظم ، ومعنى قوله (({وَهِيَ رَمِيمٌ} أي باليةٌ. يقال: رَمَّ العظْمُ -إذا بَلِيَ- فهو رَمِيمٌ ورُمام . كما يقال: رُفاتٌ وفُتَاتٌ.))[٩٥] صيغتها فعيل و معناها فاعل أو مفعول، فهي ((بمعنى رَامِمٍ، أَوْ مَرْمُومٍ))[٩٦] ، إذ

يعلل بعض العلماء أنها وردت على صيغة المذكر لأنها ((صفة مشتقّة بمعنى فاعل أو مفعول، وزنه فعيل، ولم تلحقه التاء إمّا لأنه بمعنى مفعول أو لغلبة الاسميّة عليه إذا كان بمعنى فاعل، وهو من رمّ باب ضرب.))[٩٧] ، وقيل : رميم هنا فعيل بمعنى فاعل[٩٨].

ومن هنا نرى أن كلمة رميم تشترك في الدلالة على المذكر و المؤنث ، لكن الفرق هو أن دلالتها على المذكر كانت للمفرد ، أما دلالتها على المؤنث فكانت للجمع . لأنها ((عَلَى وَزْنِ [فَعِيلٌ] [وفعيل] يَسْتَوِي فِيهَا الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ حَقِيقِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ.))[٩٩] بل قد يستوي فيها المذكر و المؤنث و الجمع[١٠٠].

وهناك وجه آخر ذكره بعض العلماء مفاده أن الكلمة جاءت بصيغة المفرد (رميم) ولم تأت بصيغة المؤنث (رميمة) للعدل ((وَلَمْ يَقُلْ: [رَمِيمَةٌ] لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنْ فَاعِلِهِ وَكُلَّمَا كَانَ مَعْدُولًا عَنْ جِهَتِهِ وَوَزْنِهِ كَانَ مَصْرُوفًا عَنْ فَاعِلِهِ كَقَوْلِهِ: {وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بغيا} أَسْقَطَ الْهَاءَ لِأَنَّهَا مَصْرُوفَةٌ عَنْ [بَاغِيَةٍ] .))[١٠١] وقيل إن رميم جاء وصفاً لكلمة على وزن المفرد لذلك حذفت منه التاء، وذلك ((إن عظاما لكونه بوزن المفرد ككتاب وقراب عومل معاملته فقيل رميم دون رميمة))[١٠٢] ، وجاءت في الشعر(رميم) كذلك للدلالة على المؤنث في الجمع المكسر، فلم تقترن بالتاء ،((كقول الشاعر حاتم الطائي:

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم)).[١٠٣]

ومنه قول ابن السيد البطليوسي:

أخو العلم حي خالد بعد موته ... وأوصاله تحت التراب رميم[١٠٤]

((قَالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ:

فَلاَ تَبْعَدَنْ تَحْتَ الضَّريحةِ أَعْظُمٌ ... رَميمٌ، وأَثْوابٌ هُناكَ جُرودُ))[١٠٥]

وكذلك جاءت للدلالة على الجمع المذكر ((قَالَ الشَّاعِرُ:

كَذَلِكَ قَومُ لوطٍ حِينَ أَمْسَوْا ... كعَصْفٍ، فِي سَدُومِهِمُ، رَمِيمِ))[١٠٦]

وقد جاءت كلمة(رميم) في كلام العرب اسماً لمؤنث ، جاء في (المحكم): ((ورَمِيم من أَسْماءِ الصَّبَا وبهِ سُمِّيَت المَرْأَةُ قالَ:

رَمَتْنِي وسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وبَيْنَها ... عَشِيَّةَ أَحجارِ الكِناسِ رَمِيمُ))[١٠٧]

وهذا من الشعر المروي في كتب الأدب ، وبعده :

رميم التي قالت لجيران بيتها ... ضمنت لكم ألا يزال يهيم [١٠٨]

وقد يكون الوصف بالجمع ، أي : رمام ، ولم يفرق ابن قتيبة بين الرميم والرمام إذ قال :((والرمام والرميم وَاحِد. وهو مثل قَوْلك: طوال وطويل وعراض وعريض وعجاب وَعَجِيب يُقَال: رم الْعظم إِذا بلي وَمِنْه قَول الله جلّ وَعز: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾))[١٠٩].

وذكر الصرفيون أن (رميم) و(قريب) قد تأتي للدلالة على المؤنث مجردة من التاء ، وجاء في الشافية الكافية الإشارة الى اشتراك المذكر و المؤنث في هذه الصيغة ((فإن كانت الصفة على "فعيل" بمعنى "مفعول" لم تلحقه التاء إلا إذا جرد عن الوصفية نحو: "ذبيحة" و"نطيحة".

فإن قصدت الوصفية وعلم الموصوف جرد من التاء نحو: "رجل قتيل" و"امرأة قتيل" و"عين كحيل" و"كف خضيب". وقد يشبه "فعيل" الذي بمعنى "فاعل" بهذا، ويشبه هذا به، فيعطى كل منهما حكم الآخر، فمن حمل الذي بمعنى "فاعل" على الذي بمعنى "مفعول" قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦] . وقوله: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ .))[١١٠] فهو وصف لمؤنث بمعنى فاعل لكنه مشبه بالذي بمعنى مفعول لذلك جاء بلا تاء[١١١]، وذكر ابن عقيل أن هذا تحذف منه التاء قليلاً. [١١٢] ((وقَدْ يَجُوزُ أَن يَعْنِي بالرَّمِيمِ الجِنْسِ فيَضَعَ الواحِدَ مَوْضِعَ لَفْظِ الجَمْعِ)) [١١٣].

وهذا يدل على أنها لفظة مشتركة في الصرف ، فهي ترد لوصف المذكر(عظم رميم) و المؤنث مفرداً كان أم جمعاً (عظام رميم) و لاسم العلم المؤنث بصيغة واحدة هي (فعيل) للجميع ، فلم يؤثر تغير الدلالة على الوزن إذ بقي بناء الكلمة على أصله .

الخاتمة

تبين من خلال هذا البحث أن في العربية أبنية تشترك في الصيغة الصرفية و تختلف قي الدلالة ، ومن هذه الأبنية (فعول) و(فعيل) و جاءت في مناسبات عدة ، منها في القرآن الكريم و منها في كلام العرب ، فجاءت على صيغة فعول كلمات تدل على المفرد المذكر والمؤنث ، يقال: رجل صبور ، و امرأة صبور ، وتدل على المفرد و المثنى و الجمع ، وفي القرآن الكريم تدل كلمة رسول على المفرد ، قال تعالى : (و ما محمد الا رسول) وتدل على المثنى ، قال تعالى: {إنَّا رسولُ ربِّ العالمينَ} و في كلام العرب تدل على المفرد ومنهم من يوحدها في المثنى و الجمع ، فيقولون: الرجل رسولك ، و الرجلان رسولك ، و الرجال رسولك، و كلمة (عدُوّ) تدل على المفرد ، قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٧] و تدل على الجمع ، قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٧]، و في كلام العرب تدل على المفرد و المثنى و الجمع ، يقولون: اللص عدو ، و اللصان عدو ، و اللصوص عدو .

و الكلام نفسه يصح على صيغة فعيل ، فجاءت للمفرد وغيره سواء أكان مذكراً أم مؤنثاً الا ان الاشتراك فيه اوسع من صيغة فعيل و أعم ، و جاءت في كلمات كثيرة في القرآن و اللغة ، و منها كلمة (ظهير) دلت على المفرد في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٥]، و دلت على الجمع في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤] ، وجاءت في كلام العرب للدلالة على المفرد المذكر و المؤنث ، ((ويُقالُ: بعيرٌ ظَهيرٌ، أَي: قويٌّ، وناقةٌ ظَهيرٌ، بغير هاء أَيضاً)) . و منها كلمة (قريب) جاءت في القرآن للدلالة على المفرد المذكر في قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣]، وللدلالة على المؤنث في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣] وفي كلام العرب وردت للدلالة على المؤنث، قال الشاعر:

لياليَ لا عفراء منك بعيدةً ... فَتَسْلَى ولا عفراء منك قريبُ[١١٤].

و منها كلمة (بعيد) جاءت في القرآن للدلالة على المفرد المذكر في قوله تعالى:(ذلك رجع بعيد) و للدلالة على الجمع المذكر في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٩]، وللدلالة على المؤنث في قوله تعالى: ﴿ مُّسَوَّمَةً

عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود: ٨٣]، وجاءت في كلام العرب تدل على المذكر في مواضع كثيرة ، و للدلالة على المؤنث في قول الشاعر:

وقد تلتقي الأشتات بعد تفرق وقد تدرك الحاجات وهي بعيد

و منها كلمة (قليل) جاءت في القرآن للدلالة على المفرد في قوله تعالى : ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [البقرة: ٧٩]، وللدلالة على الجمع في قوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠] ، وفي كلام العرب جاءت للدلالة على المفرد المذكر في قول الشاعر :

(وَهَذَا قَلِيل من كثير أكنه ... وَإِن كَانَ نطقي فِيهِ بالشكر مُغلنا)

و للدلالة على المفرد المؤنث في قوله :

أنيخَت فألقتْ بَلْدَةً فوقَ بلدةٍ ... قليلٍ بها الأصواتُ إلا بُغامُها

و للدلالة على الجمع في قوله :

تُعَيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها : ان الكرام قليل

ومنها كلمة جديد ، لكنها في القرآن جاءت للدلالة على المفرد فحسب ، أما في اللغة فجاءت للمفرد و غيره ، قال الشاعر :

وأفنيت عمري في انتظار نوالها وأبليت فيها الدهر وهو جديد

هنا دلت على المفرد ، وأما دلالتها على الجمع فكانت في قول الشاعر:

ألا ليت أيام الصفاء جديد ودهرا تولى يا بثين يعود

و منها كلمة (غريب) تدل على المذكر المفرد في مواضع كثيرة ، و تدل على المثنى في قول الشاعر:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فَإِنّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

و منها كلمة (رميم) جاءت في القرآن للدلالة على المفرد المذكر في قوله تعالى﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٢]، وللدلالة على الجمع المؤنث في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يس: ٧٨] وفي كلام العرب جاءت للدلالة على الجمع المؤنث ، في قول الشاعر:

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم)).[١١٥]

ومنه قول ابن السيد البطليوسي:

أخو العلم حي خالد بعد موته ... وأوصاله تحت التراب رميم[١١٦]

وكذلك جاءت للدلالة على الجمع المذكر ((قَالَ الشَّاعِرُ:

كَذَلِكَ قَومُ لوطٍ حِينَ أَمْسَوْا ... كعَصْفٍ، فِي سَدُومِهِمُ، رَمِيمِ[١١٧]))

وجاءت كذلك اسم علم لامرأة ، قال الشاعر:

رَمَتْنِي وسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وبَيْنَهَا ... عَشِيَّةَ أَحجارِ الكِناسِ رَمِيمُ)) [١١٨]

وقد تعددت أقوال العلماء في تعليل هذا الإشتراك ، على النحو الآتي :

١- قال بعضهم إن فعول و فعيل يستوي فيهما المذكر و المؤنث و الجمع ،

٢- ان فعيل يعبر به عن الواحد و الجمع كما في قوله تعالى:{و الملائكة بعد ذلك ظهير) و لم يقل : ظهراء، و العرب قد تصف الجميع بصفة الواحد.

٣- كذلك يستوي فيهما الواحد و الاثنان و الجمع ، يقال: اللص عدو ، و اللصان عدو ، و اللصوص عدو .

٤- الاكتفاء بلفظ الواحد عن الاثنين ، جاء في قوله تعالى :{ فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ} لأنهما اثنان ، موسى و هرون عليهما السلام . وقوله تعالى:{عن اليمين وعن الشمال قعيد} قيل : هما قيدان اكتفى بذكر الواحد عن صاحبه. أي عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد.

الهوامش

(١) إسفار الفصيح ، لابي سهل محمد بن علي بن محمد الهروي : ١٩٨/١.
(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس: ١٧٠/١، جماليات تحوُّل الوحدة الصرفيَّة لدى النُّحاة والبلاغيين ،ص ٧٦،الدكتور سامي عوض*،عادل نعامة** مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٨) العدد (١)٢٠٠٦

(٣) ينظر : شرح الفصيح، ابن هشام ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) إصلاح المنطق ٣٧٥/١

(٥) ينظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك:١٧٣٨/٤

(٦) المخصص:١٥١/٥

(٧) معاني القرآن للأخفش ٢٥٨/١

(٨) تفسير يحيى بن سلام ٤٩٨/٢

(٩)الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٤/١ ، وينظر: مجاز القرآن ٨٤/٢
(١٠) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لابي البقاء الكفوي - ص ٥٩٢
(١١) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهري:١٩٤/١

(١٢) لم اقف على قائله
(١٣) البيت لكثير عزة. ينظر ديوان كثير عزة:١٢٩-١٣٠.عبر الرابط:-al hakawati.net/arabic/civilizations/**diwan**index3a9.pdf
(١٤) البيت للعباس بن مرداس السامي . ينظر الحماسة البصرية لابي الحسن علي بن ابي الفرج البصري:١٣/١
(١٥) الزاهر في معاني كلمات الناس لابي بكر الانباري ٣٤/١.
(١٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ١٧/٤.
(١٧) ديوان الهذليين:١٤٦/١

(١٨) البيت لكثير عزة. ينظر: ديوانه:١٢٩. عبر الرابط :عبر الرابط:-al hakawati.net/arabic/civilizations/**diwan**index3a9.pdf
(١٩) البيت لمحمد بن حمران الشويعر الجعفي: ينظر: سمط اللآلي في امالي القالي لابي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز ابن محمد البكري الأندلسي:٩٢٧/١-٩٢٨
(٢٠) أضواء البيان ١٧/٤

[٢١] انوار التنزيل واسرار التأويل لابي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي:١٣٥/٤

[٢٢] البرهان في علوم القرآن ١١٨/٣، وينظر: ظاهرة الحذف البلاغي في القرآن الكريم – الفصل الثاني – المبحث الثالث (بلا ترقيم)منشور على موقع http://ladmoh.blogspot.com/2011/06/blog-post_4407.html

[٢٣] الشفاء في بديع الإكتفاء لمحمد بن حسن التواجي ٢٦/١.

(١) شرح نهج البلاغة١٩:٣٦١. وينظر: غرر الحكم ودرر الكلم ، عبدالواحد بن محمد التميمي٣٩٨.

(١) نحو القرآن٤٧.

[٢٤] دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية دراسة نقدية للقول بالحذف والتقدير أطروحة دكتوراه لـ علي عبد الفتاح محيي الشمري – ص ٧٢

(٢) نحو المعاني لعبد الستار الجواري:٦٧.

[٢٥] ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٤/١

(٢) معاني القران:١٩٣/٢.

(٢) تقدم عزوه.

[٢٦] البيت لعمرو بن امرئ القيس المنسرح. ينظر: جمهرة اشعار العرب لابي زيد محمد بن الخطاب القرشي:٥٣٠/١، ونسبه سيبويه لقيس بن الخطيم: الكتاب:٧٤/١-٧٥

[٢٧] لم اقف عليه في ديوانه

[٢٨] معاني القرآن للفراء ٧٧/٣- ٧٨ ، ٣٢٨/٣

[٢٩] ديوانه:١١٠

[٣٠] شرح أدب الكاتب ١٨

[٣١] الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٤/١

[٣٢] لم اقف عليه

[٣٣] البيت لكثير عزة، ديوانه:١١٠

[٣٤] البيت للعباس بن مرداس. ديوانه:١٦٢

[٣٥] الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٤/١.

[٣٦] مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢٩٩/١

[٣٧] ينظر : الكليات ١٣٨

[٣٨] النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ٥٢٣/٣

(٢) بحر العلوم للسمرقندي:٢٥٩/٣

[٣٩] انموذج جليل في اسئلة واجوبة عن غرائب آي التنزيل لابي بكر الرازي:٤٨٤

[٤٠] جامع البيان للطبري:٣٤٢/٢٢

[٤١] ينظر: انموذج جليل:٤٨٤، الموسوعة القرآنية لابراهيم بن اسماعيل الابياري :٢٦٠/٨

[٤٢] الكتاب ٦٣٨/٣

[٤٣] تفسير مقاتل بن سليمان ٩٩/١.
[٤٤] تفسير القرآن من الجامع لابي محمد عبد الله بن وهب- الجزء الأول ١٢٢/١
[٤٥]ماهو الرد على شبهة خطأ إعراب فى قوله تعالى (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)منشور على موقعhttp://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=04467ca4c58b878e

[٤٦]الجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٦

[٤٧] النحو الوافي ٤٥٤/١

[٤٨] ينظر : شرح ابن عقيل ١٤١/٢. ، المفصّل في النحّو، الزمخشري ص١٠١.

[٤٩] ينظر : جماليات تحول الوحدة الصرفية لدى النحاة والبلاغيين ص ٧٠ ، د. سامي عوض ، عادل نعامة – موقع أ. د. محمد سعيد ربيع الغامدي

[٥٠] ينظر : دراسات في النحو ٣٦٠/١ صلاح الدين الزعبلاوي – موقع اتحاد كتاب العرب – الموسوعة الشاملة

[٥١] البيت للمثقب العبدي ولم اقف عليه في ديوانه
[٥٢] الكتاب ٣ /١٣٦

[٥٣] ينظر : الأصول في النحو ٢٧٣/١

[٥٤] شرح شافية ابن الحاجب ١٣٨/٤

[٥٥] ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٤٥١/١ ، شرح التصريح على التوضيح ٣١٧/٢

[٥٦] البيت لجرير
[٥٧] المصدر نفسه ١٣٨/٤

[٥٨] التذكير و التأنيث في العربية و الإستعمالات المعاصرة – الدكتور محمود اسماعيل عمار- كلية المعلمين أبها – السعودية – بحث منشور على موقع -http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-36 00/229-m615.html ، والبيت لكثير عزة

[٥٩] زاد المسير ٣٠٩/٤

[٦٠] الجامع لاحكام القران لابي عبد الله احمد بن ابي بكر القرطبي ١٩٢/١٨

[٦١] انوار التنزيل واسرار التاويل لابي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي ١٤١/٥

[٦٢] المزهر١٩٣/٢ ، و ينظر : ديوان الأدب ٤٠٦/١
[٦٣] معاني القرآن للأخفش ٢٥٨/١

[٦٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩١/٢٠

[٦٥] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٣٢٩/٤

[٦٦] فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ٢٩٩/٥

[٦٧] محاسن التاويل لمحمد جمال الدين القاسمي ١٨/٩

[٦٨] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٥٧/١٩

[٦٩] المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده ٢٨٩/٤

[٧٠] لسان العرب (قرب)

[٧١] ينظر: الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم الرصافي ٧٦/١٧

[٧٢] عصمة القرآن الكريم و جهالات المبشرين ٢٥

[٧٣] ديوان عبيد بن الابرص:١٩

[٧٤] البيت لعروة بن حزام. ينظر: سمط اللآلي في امالي القالي:٤٠١/١
[٧٥] ينظر : عصمة القرآن الكريم و جهالات المبشرين: ٢٧

[٧٦] أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل ٢٠٥

[٧٧] تقدم عزوه
[٧٨] ديوان جميل:٣٩
[٧٩] التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ٣٣٨

[٨٠] مجاز القرآن: ١٤٩ ، والبيت لعدي بن رعلاء الغساني. ينظر: الاصمعيات لابي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي: ١٥٢.

[٨١] الجمل: ٣٢٨ ، والبيت لم اقف على قائله

(٨٢) الكتاب: ١٧٨/١ ، والبيت لم اقف على قائله

(٨٣) ينظر: البيان والتبيين:١٢٨/٣
(٨٤) سيبويه: ٣٣٢/٢ ، والبيت لذي الرمة. ينظر: ديوان ذي الرمة:٢٨٠،

(٨٥) النحو الواضح: ٦٥٠/١

(٨٦) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٨٠٨/٢ ، والبيت لمبشر بن هذيل الفرازي. ينظر ديوان المعاني لابي هلال الحسن بن علي العسكري:٨٩/١

(٨٧) البيت لجميل بثينة. ينظر ديوانه:٣٨، طبعة دار صادر.
(٨٨) المصدر نفسه:٣٩.
(٨٩) البيت لضابئ البرجمي. ينظر دبوان ضابئ البرجمي:٣، المنشور على الرابط : deeweny.witr.net/deewenyPDF?poetId=404
(٩٠) خزانة الأدب للبغدادي ٤٢/٤

(٩١) تقدم عزوه
(٩٢) مختصر المعاني لسعدالدين التفتازاني ص٨٣

(٩٣) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني – د. محمد محمد أبو موسى - ص٢٧٣- ط ٤- www.kotobarabia.com

(٩٤) ينظر : معاني القرآن للفراء ٨٨/٣

(٩٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٦٨/١

(٩٦) التبيان في إعراب القرآن ١٠٨٦/٢

(٩٧) الجدول في إعراب القرآن ٣٦/٢٣

(٩٨) ينظر: إعراب القرآن العظيم المنسوب لزكريا الأنصاري ٤٦٢/١

(٩٩) البرهان في علوم القرآن ٣٦٠/٣

(١٠٠) الصحاح ١٩٣٧/٥(رمم)

(١٠١) البرهان في علوم القرآن ٣٦٢/٣

(١٠٢) روح المعاني للآلوسي ٥٣/١٢

(١٠٣) الجدول في إعراب القرآن ٢٩٥/١٠ ، مغني اللبيب ٩٦/١ ، والبيت لحاتم الطائي. ينظر: شرح ديوان الحماسة لابي زكريا يحيى بن علي التبريزي:٣٣٣/٢

(١٠٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢٢٨/٣ ، مجاني الأدب في حدائق العرب ١٣٢/٢

(١٠٥) لسان العرب ١١٥/٣ (جرب)، والبيت لكثير عزة. ينظر ديوان كثير:٥٦، عبر الرابط:-al-hakawati.net/arabic/civilizations/**diwan**index3a9.pdf

(١٠٦) لسان العرب ٢٨٥/١٢ (سدم) ، والبيت لم اقف على قائله

(١٠٧) المحكم ٢٤٧/١٠ (رمم) ، والبيت لابي حية النميري ياتي عزوه

(١٠٨) ينظر : البيان و التبيين ٧٦/١، خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية ١٣٩/١ ، والبيت لابي حية النميري.

(١٠٩) غريب الحديث لابن قتيبة ١٠/٢

(١١٠) شرح الشافية الكافية ١٧٤٠/٤

(١١١) ينظر : توضيح المقاصد و المسالك بشرح ألفية ابن مالك ١٣٥٥/٣

(١١٢) ينظر: شرح ابن عقيل ٩٣/٤

(١١٣) المحكم ٢٤٤/١٠

(١١٤) ينظر : عصمة القرآن الكريم و جهالات المبشرين ٢٧

(١١٥) الجدول في إعراب القرآن ٢٩٥/١٠ ، مغني اللبيب ٩٦/١

(١١٦) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢٢٨/٣ ، مجاني الأدب في حدائق العرب ١٣٢/٢

(١١٧) لسان العرب ٢٨٥/١٢ (سدم)

(١١٨) المحكم ٢٤٧/١٠ (رمم)

This research studies the phenomenon of the Arabic language
repeat their appearance in the Koran and poetry as valid some morphological formulas in the uses and implications on more than one face, so the apparent formula that demonstrates the singular and may imply a non-singular, any Muthanna and combined, and the same singular shows the masculine because it comes without the feminization of the mark, may indicate as well the feminine itself as without the feminization of the mark, and those formulas Sigta (potent) and (trigger), which is limited to the subject of research in them because they received ones in a number of verses of the Koran and some verses of Arabic poetry, and and put his title (subscription morphological in the two versions of potent, and trigger), and was on two themes: first: Subscribe morphological in formula (potent) and included the study of a number of words that came to this formula in the Koran and language, including the word messenger, and enemy , and the second topic: subscription morphological in formula (trigger) and studied the words: back, near, far, few, new, expert, strange, Rmam, with the study of the words of the language and the commentators Scholars and wrote the Koran Sciences and Talilhm of this phenomenon and all meanings through their works, which I was able to browse and connotations that serve to express them, and then the conclusion of the research and results, and then a list of references and sources that benefited from the completion of the search. It features that characterize the language that every word significance, and each term measure morphological weighed word on according to this measurement or construction shows meaning in itself, Vamufrd his weight evidenced by, as well as the plural, the masculine and feminine each weight shows it, but in the Arabic language Some weights morphological involved to express more of an indication, there are formulas indicate the masculine and feminine, and other shows on the singular and plural, as well as no weights are used for single and plural, and remain on the bench for the rude and a unchanged and meaning affect it, but not always, There are even places where the expression being as such according to the intended meaning, and it fit the context of the speech